

الحياة واليه



الأجد والأسيعة

الليلة واليلة

الأجد والأبعد

راجعها

سعيد عبود السمار 6 عبد الستار فراج

النشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - البحالة

حكاية الأمجد والأسعد



وكان الأسعد أجمل من أخيه الأمجد . ثم إنهما تربيا في العز والدلال ، والأدب والكمال ، وتعلما الخط والعلم والسياسة والفروسية حتى صارا في غاية الكمال ، ونهاية الحسن والجمال ، وافتتن بهما النساء والرجال . وصار لهما من العمر نحو سبعة عشر عاما وهما متلازمان ، فيأكلان ويشربان معا ، ولا يفترقان ساعة من الساعات ولا وقتا من الأوقات ، وجميع الناس يحسدونهما على ذلك .

ولما بلغا مبلغ الرجال ، واتصفا بالكمال ، صار أبوهما إذا سافر يجلسهما على التماقيب في مجلس الحكم ، فيحكم كل واحد منهما يوما بين الناس .

(حكاية الأمجد والأسعد)

واتفق بالقدر المبرم ، والقضاء المحتم ، أن مشية الأسد الذى هو ابن حياة النفوس ، وقعت فى قلب الملكة بدور زوجة أبيه ، وأن محبة الأمجد الذى هو ابن الملكة بدور ، وقعت فى قلب حياة النفوس زوجة أبيه . فصارت كل واحدة من المراتين تلاعب ابن ضررتها وتقبله وتضمه إلى صدرها ، وإذا رأت ذلك أمه تظن أنه من الشفقة ومحبة الأمهات الأولادهن . وتمكن العشيق من قلبى المراتين ، واقتنتا بالولدين ، فصارت كل واحدة منهما إذا دخل عليها ابن ضررتها تود أنه لا يفارقها .

ولما طال عليها المطال ، ولم يجد سبيلا إلى الوصال ، امتنعا من الشراب والطعام ، وهجرتا لذيذ المنام .

ثم إن الملك توجه إلى الصيد والقنص ، وأمر ولديه أن يجلسا فى موضع الحكم كل واحد منهما يوما على عادتهما .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤١

(فلما كانت الليلة الحادية والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك توجه إلى الصيد والقنص ، وأمر ولديه أن يجلسا فى موضعه للحكم كل واحد يوما على عادتهما . فجلس للحكم فى اليوم الأول الأمجد ابن الملكة بدور فأمر ونهى ، وولى وعزل ، وأعطى ومنع . فكتبت له الملكة حياة النفوس — أم الأسد — مكتوبا تستعطفه فيه وتوضح له أنها متعلقة به ومتعشقة له ، وتعلمه أنها تريد وصاله . فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه المسجعات : « من المسكينة العاشقة ، الحزينة المفارقة ، التى ضاع بحبك شبابها ، وطال فيك عذابها . ولو وصفت لك طول الأسف ، وما أقاسيه من اللف ، وما بقلبي من الشغف ، وما أنا فيه من البكاء والأتين ، وتقطع القلب الحزين ، وتوالى الغوم ، وتتابع المهوم ، وما أجده من الفراق ، والسكابة

والإختراق ، لطال شرحه فى الكتاب ، وعجز عن حصره الحساب . وقد ضاقت على الأرض والسماء ، ولا لى فى غيرك أمل ولا رجاء ، فقد أشرفت على الموت ، وكابت أهوال الفوت . ولو وصفت ما عندى من الأشواق ، لضاقت عنه الأوراق .

ثم بعد ذلك كتبت هذين البيتين :

لو كنت أشرح ما ألقاه من حسرق ومن سقام ومن وجد ومن قلق
لم يبق فى الأرض قرطاس ولا قلم ولا مداد ولا شيء من السورق

ثم إن الملكة حياة النفوس لفت تلك الورقة فى رقعة من غالى الحرير مضمخة بالمسك والعنبر ، ووضعت معها جدائل شعرها ، التى تستغرق الأموال بسعرها . . ثم لفتها بمنديل وأعطت الخادم إياها ، وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجد .

وادرِك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٢

(فلما كانت الليلة الثانية والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أنها أعطت الخادم ورقة المراسلة ، وأمرته أن يوصلها إلى الملك الأمجد . فصار ذلك الخادم وهو لا يعلم ما خفى له فى الغيب ، وعلام الغيوب يدبر الأمور كيف يشاء . فلما دخل الخادم على الملك الأمجد قبل الأرض بين يديه ، وناولته المنديل وبداخلة الرسالة . فتناول الملك، الأمجد المنديل من الخادم وفتحها ، فرأى الورقة ففتحها وقراها . فلما فهم معناها علم أن امرأة أبيه فى عينها الخيانة ، وتمد خانت إياه الملك قمر الزمان فى نفسها . فغضب غضبا شديدا ، وثم النساء على فعلهن وقال : لعن الله النساء الخائفات ، الناقصات عقلا ودينا .



ثم إنه جرد سيفه وقال للخادم : ويلك يا عبد السوء انحمل
المراسلة المشتعلة على الخيانة من زوجة سيدك ؟ والله إنه لا خير نيك
يا أسود اللون والصحيفة : يا قبيح المنظر والطبيعة السخيفة .

ثم ضرب عنقه بالسيف فغزل رأسه عن جثته . وطوى المنديل
على ما فيه ووضع في جيبه . ثم دخل على أمه وأعلمها بما جرى ،
وسبها وشتمها وقال : كلكن انحس من بعضكن . والله العظيم لولا
انى اخاف إساءة الأدب في حق والدي قمر الزمان وأخى الملك الأسعد ،
لدخلت عليها وضربت عنقها كما ضربت عنق خادمها .

ثم إنه خرج من عند أمه الملكة بدور وهو في غاية الغيظ . فلما بلغ
الملكة حياة النفوس زوجة أبيه ما فعل بخادمها ، سبته ودعت عليه
واضهرت له المكر . فبات الملك الأمجد في تلك الليلة ضعيفا من الغيظ
والقهر والفكر ، ولم يلذ له أكل ولا شرب ولا منام .

فلما أصبح الصباح ، خرج أخوه الملك الأسعد وجلس في مجلس
أبيه الملك قمر الزمان ليحكم بين الناس . وأصبحت أمه حياة النفوس
ضعيفة بسبب ما سمعته عن الملك الأمجد من قتله للخادم .

ثم إن الملك الأسعد لما جلس للحكم فى ذلك اليوم ، حكم وعَدل ،
وولى وعزل ، وأمر ونهى ، وأعطى ووهب ، ولم يزل جالسا فى مجلس
الحكم إلى قرب العصر .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها
الملك السعيد أن الملكة بدور — أم الملك الأمجد — أرسلت إلى عجوز من
العجائز الماكرات وأظهرتها على ما فى قلبها ، وأخذت ورقة لتكتب فيها
مراسلة للملك الأسعد ابن زوجها وتشكو إليه كثرة محبتها ووجدعها به .
فكتبت له هذه السجعات : « ممن تلفت وجدا وشوقا ، إلى أحسن الناس
خلقا وخلقا ، المعجب بجماله ، التائه بدلاله ، المعرض عن طلب وصاله ،
الزاهد فى القرب ممن خضع وذل ، إلى من جفا ومل ، الملك الأسعد
صاحب الحسن الفائق ، والجمال الرائق ، والوجه الأقر ، والجبين
الأزهر ، والضيء الأبهر . هذا كتابى إلى من حبه أذاب جسمى ، ومزق
جلدى وعظمى . أعلم أنتى قد عيل صبرى ، وتحيرت فى أمرى ، وأقلقنى
الشوق والبعد ، وجفأتى الصبر والرقاد ، ولازمنى الحزن والسهاد ،
وبرج بى الوجد والغرام ، وحلول الضنى والسقام . فالروح تفديك ،
وإن كان قتل الصب يرضيك ، والله ييتيك ، ومن كل سوء يتيك » .

ثم بعد تلك السجعات ، كتبت هذه الأبيات :

يا من محاسنه كبر يشرق	حكم الزمان بأننى لك أعشق
وعليك من دون السيرة رونق	حزت الملاحة والفصاحة كلها
فعمى على بنظرة تتصدق	ولقد رضيت بأن تكون معصبي
لا خير نين لا يحب ويعشق	من مات فيك صباة فله الهنا

ثم كتبت أيضا هذه الأبيات :

إليك أسعد أشكو من لبيب جوى
إلى متى وإيادى الوجد تلعب بى
طورا ببحر وطورا أشتكى لها
يا لائى خلّ لومى والتمس هربا
كم صحت ووجدا من الهجران وأحرى
أمرفتنى بصدود لست أحمله
يا عاذلى كف عن عذلى محاذرة
فأرحم مقيمة بالشوق تلتهب
والعشق والفكر والتسديد والنصب
فى مهجنى إن ذا يا منيتى عجب
من الهوى فدموع العين تنسكب
فلم يفدنى بذاك الويل والحرب
أنت الطبيب فأسعفنى بما يجب
كيلا يصيبك عن داء الهوى عطب

ثم إن الملكة بدور ضمخت ورقة الرسالة بالمسك الأذفر ولفتها
فى جدائل شعرها ، ووضعتها فى قطعة من الحرير العراقى لها أهداب من
قضببان من الزمرد الأخضر ، مرسعة بالدر والجوهر . ثم سلمتها إلى
العجوز وأمرتها أن تدفعها للملك الأسعد ابن زوجها الملك قمر الزمان .
فراحت العجوز إكراما لها ، ودخلت على الملك الأسعد من وقتها
وساعتها ، وكان فى خلوة عند دخولها فناولته الورقة بما فيها ، وقد
وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب .

وإدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والأربعين بعد المائتين) قالت : بلفنى أيها
الملك السعيد أن العجوز وقفت ساعة زمانية تنتظر رد الجواب فعند ذلك
قرأ الملك الأسعد الورقة وفهم ما فيها . ثم بعد ذلك لف الورقة فى الجدائل
ووضعها فى جيبه ، وغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ولعن النساء
الخائئات : ثم نهض وسحب السيف من غمده وضرب رتبة العجوز فعزل

راسها عن جثتها . وبعد ذلك قام وتمشى حتى دخل على أمه حياة النفوس ، فوجدها رايدة على الفراش ضعيفة بسبب ما جرى لها من الملك الأمجد ، فشتمها الملك الأسعد ولعنها . ثم خرج من عندها فاجتمع بأخيه الملك الأمجد وحكى له جميع ما جرى له مع أمه الملكة بدور ، وأخبره بأنه قتل المعجوز التي جاءت بالرسالة ، ثم قال له : والله يا أخى لولا حياتى منك لكنت قد دخلت فى هذه الساعة إليها ، وقطعت راسها من بين كتفها .

فقال له أخوه الملك الأمجد : والله يا أخى إنه قد جرى لى بالأمس لما جلست على كرسى المملكة مثل ما جرى لك فى هذا اليوم ، فإن أمك أرسلت إلى يمثلى مضمون هذا الكلام .

ثم أخبره بجميع ما جرى له مع أمه الملكة حياة النفوس . وقال له : يا أخى لولا حياتى منك لدخلت إليها ، وفعلت بها ما فعلت بالخادم .

ثم إنهما باتا يتحدثان بقية الليلة ، ويلعنان النساء الخائنات . ثم تواميا بكتمان هذا الأمر لئلا يسمع أيوهما الملك تمر الزمان فيقتل المراتين . ولم يزا فى غم تلك الليلة إلى الصباح .

فلما أصبح الصباح ، أقبل الملك بجيشه من الصيد وطلع إلى قصره . ثم صرف الأمراء إلى حال سبيلهم ، وقام ودخل القصر فوجد زوجته راقدتين على الفراش وهما فى غاية الضعف وقد دبرتا لولديهما مكيدة ، واتفقتا على تضييع أرواحهما لأنهما قد فضحتا أنفسهما معهما ، وقد خشيتا أن تصيرا تحت مذلتهما . فلما رآهما الملك على تلك الحال قال لهما : مالكما ؟

فقامتا إليه وقبلتا يديه ، وعكستا عليه المسألة وقالتا له : اعلم أيها الملك أن ولدك اللذين تربيا فى نعمتك ، قد خاناك فى زوجتيك وأركبك العار .

فلما سمع تمر الزمان من زوجته هذا الكلام ، صار الضياء فى

وجهه ظلما ، واغتاظ غيظا شديدا حتى طار عقله من شدة الغيظ ،
وقال لهما : اوضحا لى هذه القضية .

فقالت له الملكة بدور : اعلم يا ملك الزمان أن ولدك الأسعد ابن حياة
النفوس ، له مدة من الأيام وهو يرأسنى ويكاتبنى ويرأودنى عن نفسى
وانا أنهاء عن ذلك ولا ينتهى . فلما سافرت أنت هجم علىّ وهو سكران
والسيف فى يده ، فخفت أن يقتلنى إذا مانعته كما قتل خادى ، فقضى
أريه منى غصبا . وإن لم تخلص حتى منه أيها الملك قتلت نفسى بيدي ،
وليس لى حاجة بالحياة فى الدنيا بعد هذا الفعل القبيح .

وأخبرته حياة النفوس أيضا بمثل ما أخبرته به ضررتها بدور .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها
الملك السعيد أن الملكة حياة النفوس أخبرت زوجها الملك قمر الزمان
بمثل ما أخبرته به الملكة بدور وقالت له : انا الأخرى جرى لى مع ولدك
الأمجد كذلك .

ثم إنها أخفت فى البكاء والنحيب وقالت له : إن لم تخلص لى حتى
منه أعلبت أبى الملك أرماتوس بذلك .

ثم إن المرأتين بكتا قدام زوجها الملك قمر الزمان بكاء شديدا .
فلما سمع كلامهما اعتقد أنه حق فغضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد ،
فقام وأراد أن يهجم على ولديه ليقتلها ، فلقى صهره الملك أرماتوس
وقد كان دخل فى تلك الساعة ليسلم عليه لما علم أنه قد أتى من الصيد ،
فراه والسيف مشهور فى يده والدم يقطر من مناخيره من شدة غيظه .
فسأله عما به فأخبره بجميع ما جرى من ولديه الأمجد والأسعد ، ثم قال
له : وما أنا ذا داخل إليهما لاقتلها أتبع قتلة ، وأمثل بهما أتبع مثله .

فقال له صهره الملك أرماتوس ، وقد اغتاط عليها أيضا : ونعم ما تفعل يا ولدى ، فلا برك الله فيهما ولا فى أولاد تفعل هذه الفعل فى حق أبيهما . ولكن يا ولدى صاحب المثل يقول : « من لم ينظر فى العواقب ، ما الدهر له بصاحب » . وهما ولداك على كل حال ، ولا ينبغي أن تقتلها بيدك فتتجرع غصتها وتندم بعد ذلك على قتلها حيث لا ينفعك الندم . ولكن أرسلها مع أحد الممالك ليقتلها فى السبرية وهما غائبان عن عينك .

فلما سمع الملك قمر الزمان من صهره الملك أرماتوس هذا الكلام رآه صوابا ، فأغمد سيفه ورجع وجلس على سرير مملكته ، ودعا خازنه وكان شيخا كبيرا عارفا بالأمور وتقلبات الدهور ، وقال له : ادخل إلى ولدى الأمجد والأسعد واكتبهما كتابا جيدا واجعلهما فى صندوق واحملهما على بغل ، واركب أنت واخرج بهما إلى وسط البرية واذهبهما ، وأملأ لى قنيتين من دمهما واثنى بهما عاجلا . فقال له الخازن : سمعا ونطاعة .

ثم نهض من وقته وساعته وتوجه إلى الأمجد والأسعد ، فصادفهما فى الطريق وهما خارجان من دهليز القصر وقد لبسا قمائشهما وأنخر ثيابهما ، وأرادا التوجه إلى والدهما الملك قمر الزمان ليسلما عليه ويهنئاه بسلامة قدومه من سفره إلى الصيد .

فلما رآهما الخازن قبض عليهما وقال لهما : يا ولدى اعلمنا أنتى عبد مأمور ، وأن أباكما قد أمرنى بأمر فهل أنتما مطيعان لأمره ؟ قالوا : نعم .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السادسة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى
أيها الملك السعيد أن الخازن قال لهما أن أباكما قد أمرنى بأمر فهل
انتما مطيعان لأمره ؟

قالا : نعم .

فعند ذلك تقدم إليهما الخازن وكنقهما ووضعهما فى صندوقين ،
وحملهما على ظهر بغل وخرج بهما من المدينة . ولم يزل سائرا بهما
فى البرية إلى قرب الظهر فأنزلهما فى مكان قفر موحش ، ونزل عن



فرسه وحط الصندوقين عن ظهر البغل ، وفتحهما وأخرج الأمد والأسعد
منهما . فلما نظر إليهما بكى بكاء شديدا على حسنهما وجمالهما ،
وبعد ذلك جرد سيفه وقال لهما : والله يا سيدى إنه يعز على أن أفعل
بكما قبيحا ، ولكن انا معذور فى هذه الأمور ، لأننى عبد مأمور ، وقد
أمرنى والدكما الملك قهر الزمان بضرب رقبتكما .

فقالا له : أيها الأمير افعل ما أمرك به الملك ، فنحن صابران على
ما قدره الله عز وجل علينا ، وانت فى حل من دمائنا .

ثم إنهما تعانقا وودع بعضهما بعضا ، وقال الأسعد للخازن : بالله عليه يا عم لا تجرعتنى غصة أخى ولا تستنى حسرتة ، بل اقتلنى أنا قبله ليكون ذلك أهون على .

وقال الأمجد للخازن مثل ما قال الأسعد ، واستعطف الخازن أن يقتله قبل أخيه وقال له : إن أخى أصفر منى فلا تفتنى لوعته . ثم بكأ كل منهما بكاء شديدا ما عليه من مزيد ، وبكى الخازن لبيكائهما .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٧

(فلما كانت الليلة السابعة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الخازن بكى لبيكائهما . ثم إن الأخوين تعانقا وودع بعضهما بعضا ، وقال أحدهما للآخر : إن هذا كله من كيد الخائنتين أمى وأمك . وهذا جزاء ما جرى منى فى حق أمك ، وجزاء ما جرى منك فى حق أمى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! إنا لله وإنا إليه راجعون !

ثم إن الأسعد اعتنق أخاه ، وصعد الزفرات وأشد هذه الأبيات :
يا من إليه المشتكى والمفزع . أنت المعد لكل ما يتوقع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة . ولستى رددت فأى باب أقصرع
يا من خزائن فضله فى قول : كن . أمئن فكل الخير عندك أجمع

فلما سمع الأمجد بكاء أخيه ، بكى وضمه إلى صدره وأشد هذين البيتين :

يا من أياديه عندى غدير واحدة . ومن مواهبه تنمو عن المسدد
ما نابنى من زمانى قسط نائبة . إن وجدتك فيها آخذا بيدي

ثم قال الأمجد للخازن : سألتك بالواحد القهار ، الملك الستار ،
أن تقتلني قبل أخى الأسعد ، لعل نار قلبى تخمد ، ولا تدعها تتوقد .
.. وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٤٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والأربعون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها
الملك السعيد أن الأمجد قال للخازن : سألتك بالواحد القهار ، الملك
الستار ، أن تقتلني قبل أخى الأسعد ، لعل نار قلبى تخمد ، ولا تدعها
تتوقد .

فبكى الأسعد وقال : ما يقتل قبل إلا أنا .

فقال الأمجد : الراى أن تمتننى واعتنتك حتى ينزل السيف علينا
فيقتلنا دفعة واحدة .

فلما اعتنق الاثنان وجها لوجه التزما بعضهما بعضا . وشدهما
الخازن وربطهما بالحبال وهو يبكى ، ثم جرد سيفه وقال : والله يا سيدى
إنه يمز على قتلكما . فهل لكما من حاجة فاقضيها ، أو وصية فأنفذها ،
أو رسالة فأبلغها ؟

فقال الأمجد : ما لنا حاجة . وأما من جهة الوصية فأتى أوصيك
أن تجعل أخى الأسعد من تحت وأنا من فوق ، لأجل أن تقع على الضربة
أولا . فإذا فرغت من قتلنا ووصلت إلى الملك وقال لك : ما سمعت منها
قبل موتها ؟ فقل له : إن لديك يقرأتك السلام ويقولان لك : « إنك
لا تعلم هل هما بريئان أو مذنبان ، وقد قتلتهما وما تحققت ذنبهما وما نظرت
فى حالهما » .

ثم أتشدّه هذين البيتين :

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من كيد الشياطين
 فمن أصل البليات التي ظهرت بين البرية في الدنيا وفي الدين
 ثم قال الأمجد : ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين البيتين اللذين
 سمعتهما .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

٢٤٩

(فلما كانت الليلة التاسعة والأربعون بعد المئتين) قالت : بلغني أيها
 الملك السعيد أن الأمجد قال للخازن : ما نريد منك إلا أن تبلغه هذين
 البيتين اللذين سمعتهما . . وأسألك بالله أن تتمهل علينا حتى أنشد
 لأخي هذين البيتين الآخرين .

ثم بكى بكاء شديدا وجعل يقول :

في الذهابين الأولين ين من الملوك لنا بصائر
 كم قد مضى في ذا الطريق ق من الأكابر والأصاغر

فلما سمع الخازن من الأمجد هذا الكلام ، بكى بكاء شديدا حتى
 بل لحيته . وأما الأسعد فإنه قد تفرغرت عيناه بالمعبرات ، وأنشد
 هذه الأبيات :

الدهر يفجع بعد الممين بالأثر فما الليالي ؟ أقال الله عثرنا
 ما لليالي ؟ أقال الله عثرنا رعت ليلاته بالبيت والحجر
 قد أضمرت كيدها لابن الزبير وما فدت عليا بمن شاعت من البشر
 وليتها إذ فدت عمرا بخسارجة ثم خضب خده بدمعه المذرار ، وأنشد هذه الأشعار :

إن الليالى والايام قد طُبعت
سراب كل يباب عندها شنب
ننبى إلى الدهر - فليكره حجيتة -
على الخداع وفيها المكر والحيل
وهول كل ظلال عندها كحل
ننب الحسام إذا ما أحجم البطل

ثم صعد الزفرات ، وانشد هذه الابيات :

يا طالب الدنيا الدنية ، إنها
دار متى ما أضحكت فى يومها
غاراتها لا تنقضى ، وأسيرها
كم مزده بفرورها حتى غدا
قلبت له ظهر المجن وأولفت
واعلم بأن خطوبها تفجأ ، ولو
فاريا بعمر ك أن يمر مضيعا
واقطع علائق حبها وطلابها
شرك الردى وقرارة الاكدار
ابكت غدا ، تبالها من دار
لا يفتدى بجلال الأخطار
متمردا متجاوز المقدار
فيه المدى نزلت لأخذ الثار
طال المدى وونت سرى الاقدار
فيها سدى من غير ما استظهار
تلق الهدى ورفاهة الأسرار

فلما فرغ الأسعد من شعره ، اعتنق أخاه الأمجد حتى صارا كأنهما
شخص واحد ، ووصل الخازن سيفه وأراد أن يضربهما وإذا بفريسه
جفل فى البر وكان يساوى ألف دينار ، وعليه سرج عظيم يساوى جملة
من المال ، فألقى السيف من يده وذهب وراء فريسه .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها
الملك السعيد أن الخازن ذهب وراء فريسه وقد التهب فؤاده ، وما زال
يجرى خلفه ليمسكه حتى دخل فى غابة ، فدخل وراءه فى تلك الغابة ..
فشق الجواد فى وسط الغابة ، ودق الأرض برجليه فعلا الفجار



وارتفع وثار . وأما الثرس فإنه شخر ونخر . وصهل وزمجر . وكان في تلك الغاية أسد عظيم الخطر ، قبيح المنظر ، عيونه ترمى بالشعر ، له وجه عبوس ، وشكل يهول النفوس . فالتفت الخازن فرأى ذلك الأسد قاصدا إليه ، فلم يجد له مهربا من يديه ، ولم يكن معه سيف فقال في نفسه : لا حول ولا قوة إلا بالله الفلى العظيم ، ما حصل لي هذا الضيق إلا بذنب الأمجد والأسعد ، وإن هذه السفرة مشئومة من أولها .

ثم إن الأمجد والأسعد قد حمى عليهما الحر فعطشا عطشا شديدا حتى تدلى لساناهما ، واستغاثا من العطش فلم يفتهما أحد . فقال الأمجد : يا ليتنا كنا قتلنا واسترحنا من هذا . ولكن ما ندرى أين جبل الحصان حتى ذهب الخازن وراءه وخلانا مكتفين . فلو جاءنا وقتلنا كان أريح لنا من مقاساة هذا العذاب .

فقال الأسعد : يا أخى اصبر نسوء يأتينا فرج الله سبحانه وتعالى ،

فإن الحصان ما جفل إلا لأجل لطف الله بنا وما ضرنا غير هذا العطش .

ثم هز نفسه وتحرك يمينا وشمالا فاتحن كتافه ، فقام وحل كتاف أخيه . ثم أخذ سيف الخازن وقال لأخيه : والله لا نروح من ههنا حتى نكشف خبره ، ونعرف ما جرى له .

وشرعا يقتصان الأثر فدلها على الغابة ، فقالا : إن الحصان والخازن ما تجاوزا هذه الغابة .

فقال الأسعد لأخيه : قف هنا حتى أدخل الغابة وانظرها .



فقال الأجد : ما أخليك تدخل فيها وحدك وما ندخل إلا جميعا ،
فإن سلمنا سلمنا معا ، وإن عطينا عطينا معا .

فدخل الاثنان فوجدا الأسد قد هجم على الخازن وهو تحته كانه
عصفور ، ولكنه صار يبتهل إلى الله ويشير إلى السماء . فلما رآه الأجد
أخذ السيف وهجم على الأسد وضربه بالسيف بين عينييه فقتله ، ووقع
الأسد مطروحا على الأرض . فنهض الخازن وهو متعجب من هذا الأمر ،
فراى الأجد والأسعد ولدى سيده واقفين فترامى على أقدامهما وقال
لهما : والله يا سيدى ما يصلح أن افترط فيكما بقتلكما . فلا كان من
يقتلكما ، فبروحى أفديكما .

وادرک شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥١

(فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى
أيها الملك السعيد أن الخازن قال للأجد والأسعد : بروحى أفديكما .

ثم نهض من وقته وساعته واعتقهما ، وسألها عن سبب فك
وثاقهما وقدمومهما فأخبراه أنهما عطشا وانحل الوثاق من أحدهما ففك
الآخر بسبب خلوص نيتهما ، وأنهما اقتصا الأثر حتى وصلا إليه .

فلما سمع كلامهما شكرهما على فعلهما ، وخرج معهما إلى ظاهر
الغابة . فلما صاروا في ظاهر الغابة قال له : يا عم افعل ما أمرك به
أبونا .

فقال : حاشا لله أن أقربكما بضرر . ولكن اعلميا أنى أريد أن اتزع
ثيابكما والبنسكما بعض ثيابى ، وأملأ قنيتين من دم الأسد ثم أروح إلى
الملك وأقول له : « إني قتلتكما » . وأما أنتما فسيحا في البلاد ، وأرض
الله واسعة . واعلميا يا سيدى أن فراقكما يعز على .

(حكاية الأجد والأسعد)

ثم بكى كل من الخازن والغلّامين ، وظلما ثيابهما وألبسهما بعض ثيابه . وربط قماش كل واحد منهما فى بقجة ، وملأ القنيتين من دم الأسد وجعل البقجتين قدماه على ظهر الجواد ، ثم ودعها وصار متوجها إلى المدينة .

ولم يزل سائرا حتى دخل على الملك وقبّل الأرض بين يديه ، فرآه الملك متغير الوجه ، وذلك مما جرى له من الأسد ، فظن أن ذلك من قتل ولديه ففرح وقال له : هل نفذت الأمر ؟
قال : نعم يا مولانا .

ثم ناوله البقجتين اللتين فيها الثياب والقنيتين المملوءتين بالدم ، فقال له الملك : ماذا رايت منهما ؟ وهل أوصياك بشيء ؟

قال : وجدتهما صابرين محتسبين لما نزل بهما . وقد قالانى : إن أبانا معذور فأعترئه منا السلام وقل له : أنت فى حل من قتلنا ومن دمائنا ، ولكن نوصيك أن تبلغه هذين البيتين وهما :

إن النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من كيد الشياطين
غبن أصل البليات التى ظهرت بين البرية فى الدنيا وفى الدين

فلما سمع الملك من الخازن هذا الكلام أطرق إلى الأرض مليا ، وعلم أن كلام ولديه هذا يدل على أنهما قد قتلا ظلما . ثم تفكر فى مكر النساء ودواهيهن ، وأخذ البقجتين وفتحهما وصار يقلب ثياب ولديه ويكى .

وإدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك السعيد أن الملك قمر الزمان لما فتح البقجتين صار يقلب ثياب ولديه ويبكي . فلما فتح ثياب ولده الأسعد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته بدور ومعهما جدائل شعرها . ففتح الورقة وقراها وفهم معناها فعلم بأن ولده الأسعد مظلوم . ولما قلب ثياب الأمجد وجد فى جيبه ورقة مكتوبة بخط زوجته حياة النفوس وفيها جدائل شعرها . ففتح الورقة وقراها فعلم أنه مظلوم . غدق يدا على يد وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، قد قتلت ولدى ظلما .

ثم صار يلطم على وجهه ويقول : واولداه : واطول حزناه .

وأمر ببناء قبرين فى بيت وسماه بيت الأحزان ، وكتب على القبرين اسمى ولديه ، وترامى على قبر الأمجد وبكى ، وان واشتكى : وأنشد هذه الأبيات :

يا قمرًا قد غاب تحت الثرى	بكت عليه الأنجم الزاهرة
ويا قضيبًا لم يمر بعده	مماطف للأعنين الناظرة
منعت عينى عنك من غيرنى	عليك لا أراك للأخسرة
واغرقت بالسهد فى دمها	وإننى من ذاك بالساهرة

ثم ترامى على قبر الأسعد وبكى . وان واشتكى . وافاض العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

قد كنت أهوى أن اشاطرك الردى	لكن أراد الله غير مرادى
سودت ما بين الفضاء وناظرى	ومحويت من عينى كل سواد
لا ينفد الدمع الذى أبكى به .	إن الفؤاد له من الأمداد
اعزز على بأن أراك بموضع	مثالبه الأوغاد والأمجاد

ولما فرغ الملك من شعره هجر الأحباب والخلان ، وانقطع فى البيت الذى سماه بيت الأحزان ، وصار يبكى على ولديه ، وهجر نساءه وأصحابه وأصدقائه .

هذا ما كان من أمره ، وأما ما كان من أمر الأمجد والأسعد فإنهما لم يزالا سائرين فى البرية وهما يأكلان من نبات الأرض ، ويشربان من متحصلات الأمطار مدة شهر كامل : حتى انتهى بهما المسير إلى جبل من الصوان الأسود لا يعلم أين منتهاه ، والطريق افترقت عند ذلك الجبل طريقين . . طريق تشقه من وسطه ، وطريق صاعدة إلى أعلاه . فسلكا الطريق التى فى أعلى الجبل ، واستمرا سائرين فيها خمسة أيام فلم يريا لها منتهى ، وقد حلّ بهما الإعياء من التعب وليس بمعتادين على المشى فى جبل ولا فى غيره . ولما يئسا من الوصول إلى منتهاه رجعا وسلكا الطريق التى فى وسط الجبل .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى

أيها الملك السعيد أن الأمجد والأسعد ولدى الملك قبر الزمان ، لما عادا من الطريق الصاعدة فى الجبل إلى الطريق المملوكة فى وسطه ، مشيا فيها طول ذلك النهار إلى الليل . وقد تعب الأسعد من كثرة السير فقال لأخيه : يا أخى أنا ما بقيت أقدر على المشى فإنى ضعفت جدا .

فقال له الأمجد : يا أخى شد حيلك لعل الله أن يفرج عنا .

ثم إنهما مشيا ساعة من الليل ، وقد تعب الأسعد تعباً شديداً ما عليه من مزيد وقال : يا أخى إنى تعبت وكللت من المشى .

ثم وقع على الأرض وبكى ، فحمله اخوه الأمجد ومشى به . وصار ساعة يمشى وساعة يقعد ويستريح إلى أن لاح الفجر فاستراحا . ثم طلعا فوق الجبل فوجدوا عينا ناعمة يجرى منها الماء ، وعندها شجرة رمان ومحراب ، فما صدقا أنها يريان ذلك . ثم جلسا عند تلك العين وشربا من مائها واكلوا من رمان تلك الشجرة ، وناما في ذلك الموضع حتى طلعت الشمس . ثم جلسا واغتسلا في العين ، واكلوا من ذلك



الرمان الذي في الشجرة وناما إلى العصر . واراذا ان يسيرا فما قدر الأسعد على السير وقد ورمت رجلاه .

وادرک شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائتين) قالت بلفنى أيها

الملك السعيد أن الأمجد والأسعد نأما إلى العصر . وأرادا أن يسيرا فما
قدر الأسعد على السير وقد ورمب رجلاه . فأقاما هناك ثلاثة أيام حتى



استراحا . ثم سارا في الجبل
مدة أيام — وهما سائران فوق
الجبل — وقد تعبوا من
العطش ، إلى أن لاحت لهما
مدينة من بعيد ففرحا وسارا
حتى وصلا إليها . فلما
قربا منها شكرا الله تعالى ،
وقال الأمجد للأسعد : يا أخى
اجلس هنا وأنا أسير إلى هذه
المدينة وأنظر ما شأنها ،
واسأل عن أحوالها لأجل أن
نعرف أين نحن من أرض الله

الواسعة . ونعرف الذى قطعناه من البلاد
في عرض هذا الجبل . ولو أننا مشينا
في وسطه ما كنا نصل إلى هذه المدينة في
سنة كاملة ، فالحمد لله على السلامة .

فقال له الأسعد : والله يا أخى ما ينذهب
إلى المدينة غسرى ، وأنا غداؤك . فبكك إن

إن تركتني ونزلت وغبت عني تستغرقني الأفكار من أجلك ، وليس لي قدرة على بعدك عني .

نقال له الأسعد : توجه ولا تبطئ .

فنزل الأسعد من الجبل وأخذ معه دنائير ، وخلي أخاه ينتظره . وسار ولم يزل ماشيا في أسفل الجبل حتى دخل المدينة ، وشق في أزقتها فلقية في طريقه رجل ، وهو شيخ كبير طاعن في السن وقد نزلت لحيته على صدره وانترقت فرقتين ، وبيده عجاز وعليه ثياب فاخرة وعلى رأسه عمامة كبيرة حمراء . فلما رآه الأسعد تعجب من لبعه وهيئته ، وتقدم إليه وسلم عليه وقال له : أين طريق السوق يا سيدى ؟ فلما سمع الشيخ كلامه تبسم في وجهه وقال له : يا ولدى كأنك غريب ؟

فقال له الأسعد : نعم أنا غريب يا عم .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٥٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ الذى لقي الأسعد تبسم في وجهه وقال له : يا ولدى كأنك غريب ؟

فقال له الأسعد : نعم أنا غريب .

فقال له الشيخ : قد آنت ديارنا يا ولدى وأوحشت ديار أهلك . فما الذى تريد من السوق ؟

فقال الأسعد : يا عم إن لى أخا تركته في الجبل ، ونحن مسافران من بلاد بعيدة ولنا في السفر مدة ثلاثة شهور . وقد أشرفنا على هذه

المدينة فجيئت إلى ههنا لأشتري طعاما وأعود به إلى أخى من أجل أن
نقتات به .

فقال له الشيخ : يا ولدى ابشر بكل خير ، وأعلم اننى اوبلت وليمة
وعندى ضيوف كثيرون ، وجمعت فيها من أطيب الطعام وأحسنه
ما تشتهيهِ النفوس . فهل لك أن تسير معى إلى مكاتى فأعطيك ما تريد
ولا آخذ منك ثمنا ، وأخبرك بأحوال هذه المدينة ؟ والحمد لله يا ولدى
حيث لقيتك ولم يلقك أحد غيرى .

فقال الأسعد : افعل ما أنت أهله وعجل فإن أخى ينتظرنى ، وخاطره
عندى .

فأخذ الشيخ بيد الأسعد ورجع به إلى زقاق ضيق ، وصار يبتسم
فى وجهه ويقول : « سبحان من نجاك من أهل المدينة » . ولم يزل
ماشيا به حتى دخل دارا واسعة ، وفيها قاعة جالس فيها أربعون شيخا
طاعنون فى السن ، وهم مصطفىون حلقة ، وفى وسطهم نار موقدة ،
والمشايع جالسون حولها يعبدونها ويسجدون لها . فلما رأى ذلك الأسعد
اقشعر بنيه ولم يعلم ما خبرهم .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

٢٥٦

(فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى
أيها الملك السعيد أن الأسعد لما رأى المشايخ يعبدون النار ويسجدون
لها ، اقشعر بدنه ولم يعلم ما خبرهم .

ثم إن الشيخ قال لهؤلاء الجماعة : يا مشايخ النار ، ما أبركه من
نهار .

ثم نادى قائلا : يا غضبان .

فخرج له عبد أسود بوجه أعبس ، وأنف أفطس ، وقامة مثلة ،
وصورة هائلة . ثم أشار إلى العبد فشد وثاق الأسعد ، ويعد ذلك
قال له الشيخ : انزل به إلى القاعة التي تحت الأرض واتركه هناك ،
وقل للجارية الفلانية تتولى عذابه بالليل والنهار .

فأخذ العبد وأنزله تلك القاعة وسلمه إلى الجارية . فصارت
تتولى عذابه ، وتعطيه رغيفا واحدا في أول النهار ورغيفا واحدا في
أول الليل ، وكوز ماء ملح في الغداة ومثله في العشي .

ثم إن المشايخ قالوا لبعضهم بعضا : حينما يأتي أوان عيد النار
نذبحه على الجبل ، ونبتقرب به إلى النار .

ثم إن الجارية نزلت إليه وضربته ضربا وجيعا حتى سالت الدماء
من أعضائه وغشى عليه . ثم حطت عند رأسه رغيفا وكوز ماء ملح
وراحت وخلته . فاستفاق في نصف الليل فوجد نفسه مقيدا وقد آلمه
الضرب فبكى بكاء شديدا ، وتذكر ما كان فيه من العز والسعادة ، والملك
والسيادة .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

٢٥٧

(فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المئتين) قالت : بلغني
أيها الملك السعيد أن الأسعد لما رأى نفسه مقيدا وقد آلمه الضرب ، تذكر
ما كان فيه من العز والسعادة ، والملك والسيادة ، فبكى وصعد
الزفرات ، وأنشد هذه الأبيات :

قفوا برسوم الدار واستخبروا عنا ولا تحسبونا في البيلار كما كنا
لقد فرق الدهر المشتت شملنا وما تهتتى أكباد حساننا مننا

تولت عذابي بالسياط لثيمة وقد ملئت منى جوانحها ضغنا
عسى ولعل الله يجمع شملنا ويدفع بالتشكيل أعداءنا عنا

علما فرغ الأسعد من شعره مد يده عند رأسه ، فوجد رغيفا وكوز
ماء ملح ، فأكل قليلا ليسد رمقه ؛ وشرب قليلا من الماء . . ولم يزل
ساهرا إلى الصباح من كثرة البق والقمل . فلما أصبح الصباح نزلت
إليه الجارية ونزعت عنه ثيابه ، وكانت قد غمرت بالدم والتصقت
بجلده فطلع جلده مع القميص ، نصرخ وتأوه وقال : يا مولاي إن كان
في هذا رضاك فزنى منه يارب ، إنك لست غافلا عن ظلمي فخذ
حقي منه .

ثم سعد الزفرات ، وانشد هذه الأبيات .

كن عن أمورك معرضا	وكل الأمور إلى القضا
فلرب أمر مخطط	لك في عواقبه رضا
وربما اتسع المض	يق وربما اتسع النضا
الله يفعل ما يشاء	فلا تكن متعرضا
وابشر بخير عاجل	تنسى به ما قد مضى

فلما فرغ من شعره نزلت عليه الجارية بالضرب حتى غشى عليه ،
ورمت له رغيفا وكوز ماء ملح ، وطلعت من عنده وخلته وحيدا فريدا
حزينا والدماء تسيل من أعضائه ، وهو مقيد في الحديد بعيد عن
الأحباب ، فتذكر أخاه والعز الذي كان فيه .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها

الملك السعيد أن الأسعد تذكر أخاه والعز الذى كان فيه ، فحن وبكى ،
وان واشتكى ، وسكب العبرات ، وأنشد هذه الأبيات :

يا دهر مهلا كم تجور وتعدي
ما أن أن ترثى لطول تشيتى
واسأت احبابى بما اشميت بى
وقد اشميتى قلب العدو بما راي
لم يكفه ما حل بى من كربة
حتى بليت بضيق سجن ليس لى
ومدامع تهى مكيفض سحائب
وكآبة وصسبابة وتسذكر
شوق اكابده وحزن متلف
لم الق لى من منصف ذى رحمة
هل من صديق ذى وداد صادق
اشكو إليه ما اكابده اسى
ويطول ليلى فى المذاب لائى
والبقى والبرغوث قد ثريا دى
والجسم بين القمل منى قد حكى
وسكنت فى سجن ثلاثة افرع
فمدامتى دممى ، وقيدى مطربى

ولكم بأحبابى تروح وتفقدى
وترق يا من قلبه كالجلد
كل التعداة بما صنعت من الردى
من غريبتى وصسبابتى وتوحدى
وغراق احبابى وطرف ارمد
فيه أنيس غير عضى باليد
وغليل شوق ناره لم تخمد
وتحسسر وتنفس وتنهد
ووقعت فى وجع مقيم مقعد
يحنون على بسزورة المتردد
يرثى لاسقابى وطول تسهدى
والطرف بنى ساهر لم يرتد
اصلى بنار الهم ذات توقد
شرب الطلا من كف الى اغيد
مال اليتيم يكف قاض ملحد
وغدوت بين مقيد ومصعد
والفكر تقلى والهموم تمهدى

فلما فرغ من نظمه ونثره حن وبكى ، وأن واشتكى ، وتفكر ما دلتن فيه ، وما حصل له من فراق أخيه .

هذا ما كان من أبرد ، وأما ما كان من أمر أخيه الأمجد فإنه مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه . فخلق فؤاده ، واشتد به ألم الفراق ، وانغاض دمه المهرق .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

٢٥٩

(فلما كتبت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن الأمجد لما مكث ينتظر أخاه الأسعد إلى نصف النهار فلم يعد إليه ، خلق فؤاده واشتد به ألم الفراق ، وانغاض دمه المهرق وصاح : واحسرتاه ، ما كان أخوفنى من الفراق .

ثم نزل من فوق الجبل ودمعه سائل على خديه ، ودخل المدينة . ولم يزل ماشيا فيها حتى وصل إلى السوق وسأل الناس عن اسم المدينة وعن أهلها ، فقالوا له : هذه تسمى مدينة المجوس ، وأهلها يعبدون النار دون الملك الجبار . ثم سأل عن مدينة الأبتوس فقالوا له : إن المسافة التى بيننا وبينها من البر ستة ومن البحر ستة أشهر ، وملكها يقال له أرماتوس ، وقد ضاهر اليوم ملكا وجعله مكانه ، وذلك الملك يقال له قمر الزمان ، وهو صاحب عدل وإحسان ، وجود وأمان .

فلما سمع الأمجد ذكر أبيه حن وبكى ، وأن واشتكى ، وصبر لا يعلم أين يتوجه ، وقد اشترى معه شيئا للأكل وذهب إلى موضع يتوارى فيه . ثم قعد وأراد أن يأكل فتذكر أخاه فبكى ، ولم يأكل إلا قدر سد الرمق . ثم قام ومشى فى المدينة ليعلم خبر أخيه ، فوجد رجلا مسلما خياطاً فى دكان فجلس عنده وحكى له قصته ، فقال له الخياط : إن

كان وقع في يد أحد من الجوس فما بقيت تراه إلا بعسر ، ولعل الله
يجمع بينك وبينه .

ثم قال له : هل لك يا أخى أن تنزل عندي ؟

قال : نعم .

ففرح الخياط بذلك ، وأقام عنده أياما وهو يسليه ويصبره ، ويعلمه
الخيطة حتى صار ماهرا . ثم خرج يوما إلى شاطئ البحر وغسل



اثوابه ودخل الحمام ولبس ثيابا نظيفة ، ثم خرج من الحمام يتجول
في المدينة ، فصادف في طريقه امرأة ذات حسن وجمال ، وتعد واعتدال ،
ليس لها في الحسن مثال . فلما رآته رفعت القناع عن وجهها ، وغمرت
بحواجبها وعيونها ، وغازلته باللحظات ، وانشدت هذه الأبيات :

كأنك يا مهتف عين شمسي
وانت اليوم احسن منسك امسي
ليوسف واحد او بعض خمسين
فكان غدا لنفسك كل نفس

رايتك مقبلا ففضضت طرفي
فإتسك انت احسن من تبدي
ولو قسم الجمال لكان خمسين
وباقية لذاتك باختصاص

فلما سمع الأمجد كلامها ارتاح خاطره لديها ، وحنّت جوارحه إليها . وقد لعبت به أيدي الصبايات ، فأشار لها وأنشد هذه الأبيات :

<p>ورد الخدود ودونه شرك القنا لا تصدّد الأيدي إليه غطالما قل للمستى ظلمت وكانت فتنة يزداد وجهك بالتبرقع ضلة كالشمس يمتع اجتلاؤك وجهها غدت النحيلة في حمى ينحولها إن كان قتلى قصدهم فليسرفعوا ما هم بأعظم فتكة — لو بارزوا —</p>	<p>فمن المحدث نفسه أن يجتنى شئو الحروب الآن مددنا الأعيننا ولو أنها عدلت لكنت افتنا واری السفور لمثل حسنك أصونا وإن اكتست برقيق غيم امكنا فملوا حماة الحيّ عمّ تصدنا تلك الضفائن وليخلوا بيتنا من طرف ذات الخال إذ برزت لنا</p>
---	---

فلما سمعت من الأمجد هذا الشعر تنهدت بصاعد الزفرات ، وأشارت

إليه وأنشدت هذه الأبيات :

<p>جند بالوصال إذا كان الوفاء أنى وجاعل الليل من اصداغه سكنا فتنتنى وقديما هجت لى فيتنا فالتار حق على من يعيد الوثنا إن كان لأبد من بيع فخذ ثمننا</p>	<p>انت الذى سلك الإعراض لست أنا يا فالى الصبح من للاء غثرته بصورة الوثن استعبدتنى وبها لا غرو أن أحرقت نار الهوى كبدى فبيع مثلى مجانا بلا ثمن</p>
---	---

فلما سمع الأمجد منها هذا الكلام قال لها : اتجيشين عندى أم اجيء عندك .

فأطرقت حياء إلى الأرض وقالت قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » .

فضمهم الأمجد إشارتها .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة الموفية للسنتين بعد المائتين) قالت : بلغنى أنها الملك السعيد أن الأمجد فهم إشارة المرأة ، وعرف أنها تريد الذهاب معه حيث يذهب ، فالتزم لها بالمكان . وقد استحي أن يروح بها عند الخياط الذى هو عنده ، فمشى قدامها ومشت خلفه ، ولم يزل ماشيا بها من زقاق إلى زقاق ومن موضع إلى موضع ، حتى تعبت الصبية فقالت له : يا سيدى أين دارك ؟

فقال لها : قدام ، وما بقى عليها إلا شئ يسير .

ثم انعطف بها فى زقاق مليح . ولم يزل ماشيا فيه وهى خلفه حتى وصل إلى آخره فوجده غير نائف فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ثم التفت بعينه فرأى فى صدر الزقاق يلبا كبيرا بمسطبتين ولكنه معلق . فجلس الأمجد على مسطبة وجلست المرأة على مسطبة ، ثم قالت له : يا سيدى ما الذى تنتظره ؟

فأطرق إلى الأرض مليا . ثم رفع رأسه وقال لها : انتظر ملوكى فإن المفتاح معه ، وكنت قد قلت له : هبى لنا المأكول والمشروب وصحبته المدام ، حتى أخرج من الحمام .

ثم قال فى نفسه : ربما يطول عليها المطال فتروح إلى حال سبيلها ، وتخلبنى فى هذا المكان .

فلما طال عليها الوقت قالت له : يا سيدى إن الملوك قد أبطأ علينا . ونحن قاعدان فى الزقاق .

ثم قامت الصبية إلى الضبة بحجر فقال لها الأمجد : لا تعجلى واصبرى حتى يجرى الملوك .

فلم تسمع كلامه ، بل ضربت الضربة بالحجر فتقسمتها نصفين ، فانفتح الباب فقال : واى شيء خطر لك حتى فعلت هكذا ؟

فقالت له : يا سيدى اى شيء جرى ؟ اما هو بيتك ؟

فقال : نعم ، ولكن لا يحتاج إلى كسر الضربة .

ثم إن الصبية دخلت البيت ، فصار الأمجد متحيرا فى نفسه خوفا من اصحاب المنزل ولم يدر ماذا يصنع . فقالت له الصبية : لم لم تدخل يا سيدى ونور عينى وحشاشة قلبى ؟

قال لها : سمعا وطاعة ، ولكن قد ابطأ على المملوك وما ادرى هل فعل شيئا مما امرته به أولا .

وادرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

٢٦١

(فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها

الملك السعيد ان الأمجد قال للصبية لقد ابطأ على المملوك وما ادرى هل فعل شيئا مما امرته به او لا . ثم إنه دخل معها وهو فى غاية ما يكون من الهم خوفا من اصحاب المنزل . ولما دخل البيت وجد فيه قاعة مليحة بأربعة إيوانات متقابلة ، وفيها خزائن وسدول مفروشات بالفرش الحرير والديباج . وفى وسط القاعة فسقية مثمنة مرصوص عليها أطباق مرصعة بفصوص الجواهر وهى ملووءة فاكهة ومشموما ، وفى جانبها اوانى الشراب ، وهناك شمعدان فيه شمعة مركبة . والمكان ملآن بنفيس القماشى ، وفيه صناديق وكراسى منصوية وعلى كل كرسى بقعة وفوقها كيس ملآن نقانير ، والدار تشهد لصاحبها بالسعادة لأن أرضها مفروشة بالرخام . فلما رأى الأمجد ذلك تحير فى أمره وقال فى نفسه : قد راحت روحى ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

واما الصبية فإتھا لما رأت ذلك المكان فرحت فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقالت : يا سيدى ما قصر ملوكك ، فإنه مسح المكان وطبخ الطعام وهى الفاكهة وقد جئت انا فى احسن الاوقات ..

فلم يلتفت إليها الأمجد لاشتغال قلبه بالخوف من اصحاب المكان فقالت : يا سيدى مالك واقفا هكذا ؟ إن كنت مواعدا غيرى غائبا أخدمها .

فضحك الأمجد عن قلب ملوء بالغیظ ، ثم طلع وجلس وهو يتفخ وقال فى نفسه : يا يوم الثوم إذا جاء صاحب المنزل .

وقد جلست الصبية فى جانبه وصارت تلعب وتضحك ، والأمجد مغموم ، مغمى مهموم ، يحسب فى نفسه ألف حساب ويقول : لا بد أن یجىء صاحب هذه القاعة ، فأى شىء أقول له .. ولا بد أنه یقتلنى بلا شك .

وادرک شهر زاد الصباح ، فسكنت عن الكلام المباح .

٢٦٢

(فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائتين) قالت بلقنى أیها الملك السعيد ان الأمجد ظل یحسب فى نفسه ألف حساب ويقول : لا بد أن یجىء صاحب هذه القاعة ، فأى شىء أقول له .. ولا بد أنه یقتلنى بلا شك .

ثم إن الصبية قامت وتشمرت ، واخذت خواتنا وحطت علیه السفرة ، واكلت وقالت للأمجد : كل يا سيدى .

فتقدم الأمجد لیاكل فلم یطب له الاكل بل صار ینظر إلى ناحية الباب ، حتى اكلت الصبية وشبعت ورفعت الخوان وقدمت طبق الفاكهة وشرعت تتنقل ، ثم قدمت المشروب ، وفتحت الجرة وملأت قدحا وناولته

لأُمجد ، فأخذه منها وقال فى نفسه : آه آه من صاحب هذه الدار إذا جاء ورآنى .

وصارت عينه صوب الدهليز والتدح فى يده . فبينما هو كذلك إذ بصاحب الدار قد جاء — وكان مملوكا من اكابر المدينة ، لأنه كان أمير « ياخور » عند الملك — وقد جعل القاعة معدة لبشرح فيها صدره ويختلى فيها بمن يريد . وكان فى ذلك اليوم قد أرسل إلى معشوقة تجيء له وجهز لها ذلك المكان . . وكان اسم ذلك المملوك بهادر ، وكان سخي اليد صاحب جود وإحسان وصدقات وامتنان ، فلما وصل إلى قريب القاعة .

وادرک شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٣

(فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى ايها الملك البعيد ان بهادر صاحب القاعة ، لما وصل إلى قريب من القاعة وجد الباب مفتوحا . فدخل قليلا قليلا واطل برأسه فتنظر الأُمجد والصبية وقدامهما طبق فاكهة وآلة المدام . وفى ذلك الوقت كان الأُمجد ممسكا بالتدح وعينه إلى الباب ، فلما صارت عينه فى عين صاحب الدار اصفر لونه وارتعدت فرائصه . فلما رآه بهادر وقد اصفر لونه وتغير حاله ، غمزه بأصبعه على غمه يعنى : اسكت وتعال عندى .

فحط الأُمجد الكأس من يده وقام إليه . فقالت الصبية : إلى أين ؟ تحرك رأسه وأشار لها أنه يريق الماء . ثم خرج إلى الدهليز حافيا ، فلما رأى بهادر علم أنه صاحب الدار فأسرع إليه وقبل يديه ، ثم قال له : بالله عليك يا سيدى قل ان تؤذنى اسمع منى مقالى .

ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره ، وأخبره بسبب خروجه من
أرضه ومملكته ، وأنه ما دخل القاعة باختياره ولكن المصيبة هي التي
كسرت الضربة وفتحت الباب وفعلت هذه الفعل .

فلما سمع بهادر كلام الأمجد وعرف أنه ابن الملك ، رق له ورحمه
ثم قال : اسمع يا أمجد كلامي وأطعني ، وأنا أتكفل لك بالأمان مما
تخاف ، وإن خالفتني قتلتك .

فقال الأمجد : مرنى بما شئت فأنا لا أخالفك أبدا ، لأننى عتيق
مروعتك .

فقال له بهادر : ادخل هذه القاعة واجلس فى المكان الذى
كنت فيه وأطمئن . وها أنا ذا ادخل عليك واسمى بهادر فإذا دخلت إليك
فاستمنى وانهرنى وقل لى : « ما سبب تأخرى إلى هذا الوقت ؟ » ولا تقبل
لى عفرا بل قم واضربنى وإن اشفقت على اعدمتك حياتك . فادخل
وانبسط ، ومهما طلبته متى تجده حاضرا بين يديك فى الوقت . وبت
كما تحب فى هذه الليلة ، وفى غد توجه إلى حال سبيلك إكراما
لغريتك ، فأتى أحب الغريب وواجب على إكرامه .

فقبل الأمجد يده ، ودخل وقد اكتسى وجهه حمرة وبياضا . . فاول
ما دخل قال للصبية : ياسيدتى آتست موضعك وهذه ليلة مباركة .
فقالت له الصبية : إن هذا امر عجيب منك حيث بسطت لى الانس .

فقال الأمجد : والله يا سيدتى إنى كنت أعتقد أن مملوكى بهادر
أخذ عقود جواهر لى كل عقد يساوى عشرة آلاف دينار . ثم خرجت
الآن وأنا متفكر فى ذلك ففتشت عنها فوجدتها فى موضعها ، ولم أدرك
ما سبب تأخر المملوك إلى هذا الوقت ، ولا بد لى من عقوبته .

فاستراحت الصبية لكلام الأمجد ، ولعبا وشربا وانشرحا ،
ولم يزاالا إلى قريب المغرب . ثم دخل عليهما بهادر وقد غير لبسه
وشد وسطه ، وجعل فى رجليه « زربونا » على عادة الممالك . ثم سلم
وقبل الأرض وعقد يديه ، وأطرق إلى الأرض كالمعترف بفتنه . فنظر
إليه الأمجد بعين الغضب وقال له : ما سبب تأخرى يا أنحس الممالك ؟

فقال له : يا سيدى ، إني اشتغلت بفصل اثوابى وما علمت لك
هنا ، فإن ميعادى وميعادك العشاء لا بالنهار .



فصاح عليه الامجد وقال له : تكذب يا اخس المالك ، والله لا بد
من ضربك .

ثم قام الامجد وسطح بهادر على الأرض وأخذ عصا وضربه برفق .
فقامت الصبية وخلصت العصا من يده ونزلت على بهادر بضرب وجيع ،
حتى جرت دموعه واستغاث وصار يضغط على اسنانه ، والامجد
يصيح على الصبية « لا تفعلى هكذا » ، وهى تقول : « دعنى اشفى
غيفلى منه » .

ثم إن الامجد خطف العصا من يدها ودفعها ، فقام بهادر ومسح
دموعه عن وجهه ووقف فى خدمته ساعة . ثم مسح القاعة وأوقد القناديل .
ومسارت الصبية كلما دخل بهادر أو خرج تشتمه وتلعنه ، والامجد يفضب
عليها ويقول لها : بحق الله تعالى اتركى مملوكى فإنه غير معود على
هذا .

وما زالا ياكلان ويشربان وبهادر في خدمتهما إلى نصف الليل ،
حتى تعب من الخدمة والضرب فقام في وسط القاعة وشخر وتخر .
فسكرت الصبية وقالت للأمجد : تم خذ هذا السيف المعلق واضرب رقبة
هذا الملوك ، وإن لم تفعل عملت على هلاك روحك .

فقال الأمجد : واى شيء خطر لك في قتل ملوكى ؟

قالت : لا يكمل الحظ إلا بقتله ، وإن لم تقم تمت أنا وقتلته .

فقال الأمجد : بحق الله عليك لا تفعلى .

فقالت : لابد من هذا .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

٢٦٤

(فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المئتين) قالت : بلغنى أيها

الملك السعيد أن الأمجد قال للصبية حينما صممت على قتل الملوك :
بحق الله عليك لا تفعلى .

فقالت : لابد من هذا .

وأخذت السيف وجردته وهمت بقتله . فقال الأمجد في نفسه :
هذا رجل عمل معنا خيرا ، وسترنا وأحسن إلينا وجعل نفسه ملوكى .
كيف نجازيه بالقتل ؟ لا كان ذلك أبدا .

ثم قال للصبية : إن لم يكن بد من قتل ملوكى فأنا أحق بقتله منك .

ثم أخذ السيف من يدها ، ورفع يده وضرب الصبية على عنقها
فأطاح رأسها عن جثتها ، فوتمت رأسها على صاحب الدار فاستيقظ
وجلس وفتح عينيه ، فوجد الأمجد واقفا والسيف في يده مخضب بالدم .
ثم نظر إلى الصبية فوجدها مقتولة ، فاستخبره عن أمرها فأعاد عليه
حديثها وقال له : إنها ابت إلا أن تقتلك وهذا جزاؤها .

فقام بهادر وقيل رأس الأمجد وقال له : يا سيدى ليتك عفوت عنها ، وما بقى فى الأمر إلا إخراجها فى هذا الوقت قبل الصباح .

ثم إن بهادر شد وسطه ، وأخذ الصبية ولفها فى عباءة ووضعها فى كيس وحملها ، وقال للأمجد : انت غريب ولا تعرف احدا . فاجلس فى مكانك وانتظرنى عند طلوع الشمس ، فإن عدت إليك فلا بد أن أفعل معك خيرا كثيرا ، واجتهد فى كشف خبر أخيك . وإن طلعت الشمس ولم أعد إليك فاعلم أنه قضى على ، والسلام عليك ، وهذه الدار لك بما فيها من الأموال والقماش .

ثم إنه حمل الكيس وخرج من القاعة ، وشق بالجثة فى الأسواق وقصد بها إلى طريق البحر الملح ليرميها فيه . فلما صار قريبا من البحر التفت فرأى الوالى والمقدمين قد احاطوا به ، ولما عرفوه تعجبوا وفتحوا الكيس فوجدوا فيه الصبية القتيل .

فقبضوا عليه وبيتوه فى السجن إلى الصباح . ثم طلّعوا به هو والكيس إلى الملك وأعلموه بالخبر . فلما رأى الملك ذلك غضب غضبا شديدا وقال له : ويلك أنت تفعل هكذا دائما ، فتقتل القتلى وترميهم فى البحر وتأخذ جميع ما لهم . وكم فعلت قبل ذلك من قبل !

فأطرق بهادر إلى الأرض قدام الملك ، فصاح الملك عليه وقال له : ويلك من قتل هذه الصبية ؟

فقال له : يا سيدى أنا قتلتها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

فغضب الملك وأمر بشنقه . فنزل به السياف حين أمر به الملك ، وأمر الوالى المنادى أن ينادى فى أزقة المدينة بالفرجة على بهادر أمير ياخور الملك ، ودأب به فى الأزقة والأسواق .

هذا ما كان من أمر بهادر . وأما ما كان من أمر الأمجد فإنه لما طلع عليه النهار وارتفعت الشمس ولم يعد إليه بهادر قائ : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أى شئ جرى له ؟

فبينما هو يتفكر إذ بالمنادى ينادى بالفرجة على بهادر وأنهم سيشتقونه
فى وسط النهار ، فلما سمع الأمجد ذلك بكى وقال : إنا لله وإنا إليه
راجعون . قد أراد هلاك نفسه من أجلى ، وأنا الذى قتلتها والله لا كان
هذا أبدا .

ثم خرج من القاعة وأقفل الباب ، وشق فى وسط المدينة حتى
أتى إلى بهادر ، ووقف قدام الوالى وقال له : يا سيدى ، لا تقتل بهادر
فإنه برىء ، والله ما قتلها إلا أنا .

فلما سمع الوالى كلامه أخذه هو وبهادر وطلع بهما إلى الملك وأعلمه
بما سمعه من الأمجد . فنظر الملك إلى الأمجد وقال له : أنت قتلت
الصبية ؟

قال : نعم .

فقال له الملك : احك لى سبب قتلك إياها واصدقتى .

قال له : أيها الملك إنه جرى لى حديث عجيب ، وأمر غريب ،
لو كتب بالإبر على آفاق البصر ، لكان عبرة لمن اعتبر .

ثم حكى للملك حديثه ، وأخبره بما جرى له ولأخيه من المبتدا
إلى المنتهى . فتعجب الملك من ذلك غاية العجب وقال له : إنى قد
علمت أنك معذور ، ولكن يا فتى هل لك أن تكون عندى وزيرا ؟

فقال له : سمعا وطاعة .

فخلع عليه الملك وعلى بهادر خلعا منية ، وأعطاه دارا حسنة
وخدما وحشما ، وأنعم عليه بجميع ما يحتاج إليه . ورتب له الرواتب
والجرايات ، وأمره أن يبحث عن أخيه الأسعد .

فجلس الأمجد فى رتبة الوزير ، وحكم وعدل وولى وعزل وأخذ
وأعطى . وأرسل المنادى فى أزقة المدينة ينادى على أخيه الأسعد ،
فمكث مدة أيام ينادى فى الشوارع والأسواق فلم يسمع له بخبر ، ولم
يقع له على أثر .

عذا ما كان من الأمجد . وأما ما كان من أمر الأسعد فإن المجوس ما زالوا يعاقبونه بالليل والنهار ، وفى العشى والإبكار ، مدة سنة كاملة حتى قرب عيد المجوس ، فتجهز بهرام المجوسى للسفر وهيا له مركبا .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٥

(فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان بهرام المجوسى جهز مركبا للسفر ، ثم وضع الأسعد فى صندوق واقفله عليه ونقله إلى المركب . وفى تلك الساعة التى حول فيها بهرام الصندوق الذى فيه ، كان الأمجد بالقضاء والقدر واقفا يتطلع إلى البحر . ووقف على مركب المجوسى وأمر من معه أن ينزلوا المركب ويفتشوه . فنزل الرجال وفتشوا المركب جميعه فلم يجدوا فيه شيئا ، فظلموا وأعلموا الأمجد بذلك . فركب وتوجه إلى بيته ، فلما وصل إلى منزله ودخل القصر انتقبض صدره ، فنظر بعينه فى الدار فرأى سطرين مكتوبين على حائط وهما هذا البيتان :

أحبائنا إن غبستم عن ناظرى فعن الفؤاد وخاطبرى ما غبستم
لكنيسكم خلفتمسونى مدنتنا ومنعستم جفبنى الرقاد ونمستم

هذا ما كان من أمره ، وأما ما كان من بهرام المجوسى فإنه نزل المركب ، وصاح على البحرية وأمرهم أن يعجلوا بحل القلوع ، فحلوا القلوع وسافروا . ولم يزالوا مسافرين أياما وليالى ، وكل يومين يخرج الأسعد ويطعمه من الزاد ويسقيه قليلا من الماء ، إلى ان قريبا من جبل . . فهبت عليهم ريح وهاج بهم البحر ، حتى تاه المركب عن الطريق وملكوا طريقا غير طريقهم ، ووصلوا إلى مدينة مبنية على البحر ، والحاكمة على تلك المدينة امرأة يقال لها الملكة مرجانة . فقال

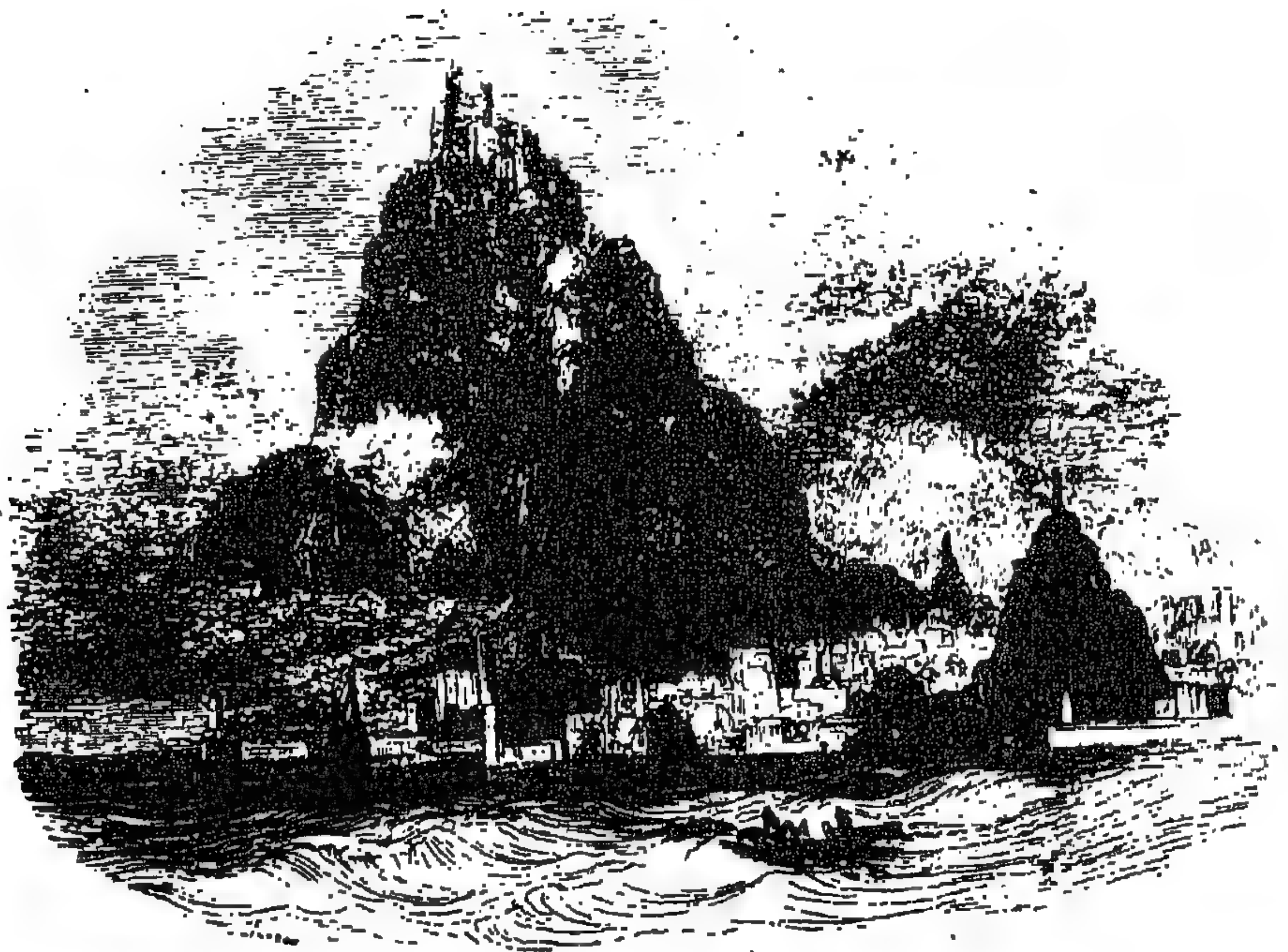
الرئيس لبهرام : يا سيدى إتنا تنها عن الطريق ، ولا بد لنا من دخول هذه المدينة لأجل الراحة ، وبعد ذلك يفعل الله ما يشاء .

فقال له بهرام : نعم ما رأيت ، والذي تراه انعله .

فقال له الرئيس : إذا أرسلت لنا الملكة نسألنا ماذا يكون جوابنا لها ؟

فقال له بهرام : أنا عندى هذا المسلم الذى معنا . فغلبس به لبس الممالك ونخرجه معنا . وإذا راته الملكة نظن انه مملوك فاقول لها : إنى جلاب ممالك ابيعهم واشتريهم ، وقد كان عندى ممالك كثيرون فبعتهم ولم يبق غير هذا المملوك .

فقال له الرئيس : هذا كلام مليح .



ثم إنهم وصلوا إلى المدينة وارخوا البقلوع ودقوا المراسى . ووقف المركب وإذا بالملكة مرجانة نزلت إليهم ومعها عسكرها ، ووقفت على المركب ونادت الرئيس فطلع عندها وقبل الأرض بين يديها ، فقالت له : أى شيء فى مركبك هذا ؟ ومن معك ؟

فقال لها : يا ملكة الزمان معى رجل تاجر يبيع الممالك .

فقالت : على به .

وإذا ببهرام طلع ومعه الأسد ماشى وراءه فى صفة مملوك . فلما وصل إليها بهرام قبل الأرض بين يديها فقالت له : ما شأنك ؟

فقال لها : انا تاجر رقيق .

فانظرت إلى الأسد وقد ظنت انه مملوك ، فقالت له : ما اسمك ؟

فخفقه البكاء وقال لها : اء مى الأسد .

فرق قلبها له وقالت : اتعرف الكتابة ؟

قال : نعم .

فناولته دواة وقلما وقرطاسا وقالت له : اكتب شيئا حتى اراه .

فكتب هذين البيتين :

ما حيلة العبد والإعذار جارية عليه فى كل حال ايها الرائي
القاه فى السيم مكتونا وقال له إيساك إيساك ان تبتل بالماء

فلما رأت الورقة رحمته ثم قالت لبهرام : معنى هذا المملوك .

فقال لها : يا سيدتى لا يمكننى بيعه لأنى بعت جميع مالىكى ولم يبق عندى غير هذا .

فقالت الملكة مرجانة : لابد من أخذه منك . إما يبيع وإما بهبة .

فقال لها : لا أبيع ولا أهبه .

فقبضت على الأسد وأخذته . وطلعت به القلعة ، وأرسلت تقول له : إن لم تقلع فى هذه الليلة عن بلدنا أخذت جميع مالك وكسرت مركبك .

فلما وصلت إليه الرسالة اغتم غما شديدا وقال : إن هذه سفرة غير محمودة .

ثم قام وتجهز وأخذ جميع ما يريد ، وانتظر الليل ليسافر فيه . وقال للبحرية : خذوا أهبتكم واملئوا قريكم من الماء واقطعوا بنا فى آخر الليل .

نصار البحرية يتضون أشغالهم .

هذا ما كان من أمرهم : وأما ما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها أخذت الأسعد ودخلت به القلعة ، وفتحت الشبائب المظلة على البحر . وأمرت الجوارى أن يقدمن الطعام فقدمن لهما فأكلا : ثم امرتهن أن يقدمن المدام .

وأدرك شهر زاد الصباح : فسكتت عن الكلام المباح .

٢٦٦

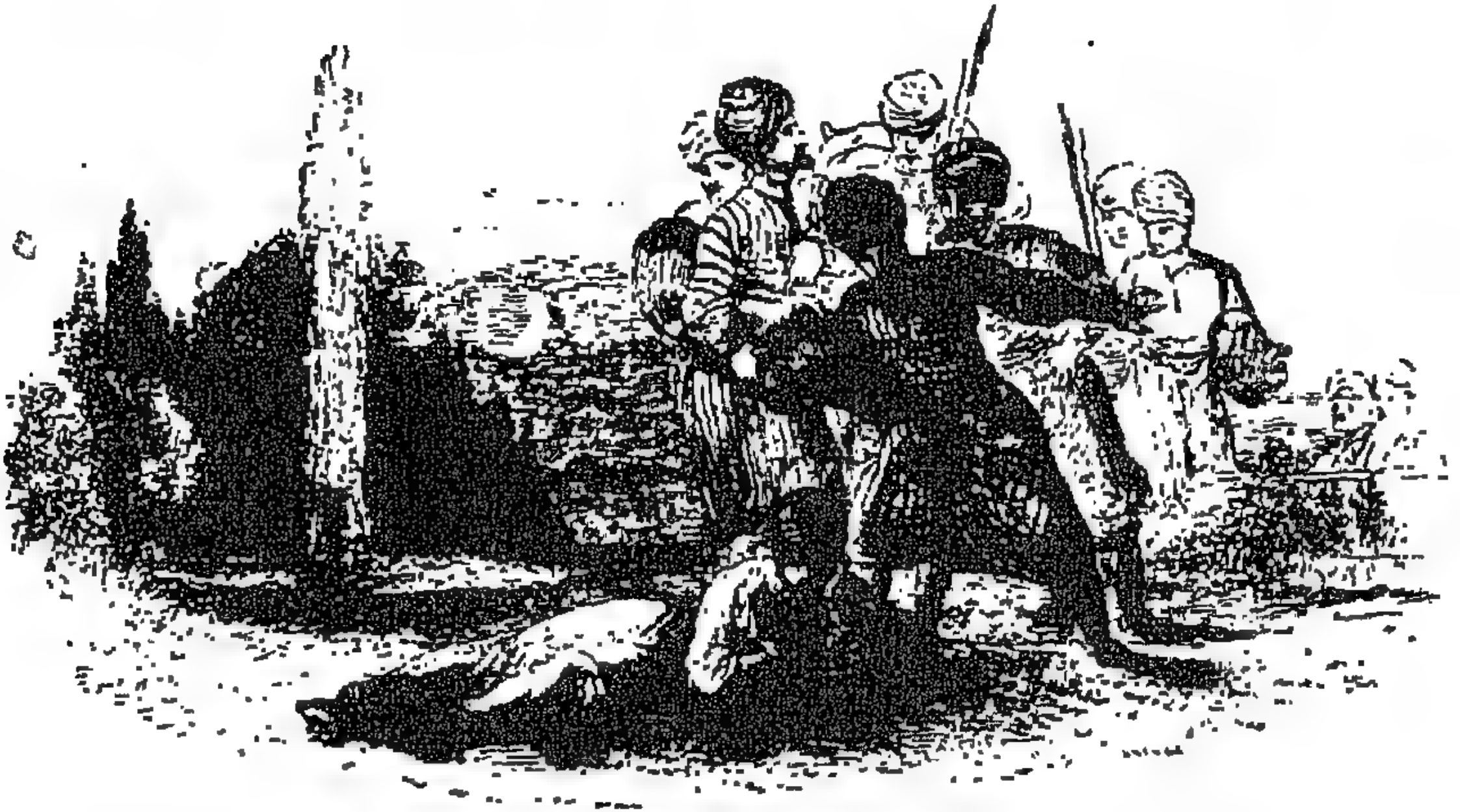
(فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى الملك السعيد أن الملكة مرجانة أمرت الجوارى أن يقدمن المدام فقدمنه . فشربت مع الأسعد . وألقى الله تعالى محبة الأسعد فى قلبها . وصارت تملأ القدح وتسقيه حتى غاب عن وعيه ، فقام يريد قضاء حاجة . ونزل من القاعة غراى بابا مفتوحا فدخل فيه وتمشى . فغانتى به السير إلى بسنان عظيم فيه جميع الفواكه والأزهار . فجلس تحت شجرة وقضى حاجته . وقام إلى الفسقية التى فى البستان فاستلقى على قفاد فضر به الهواء فنام ، ودخل عليه الليل .

هذا ما كان من أمره ، وأما ما كان من أمر بهرام فإنه لما دخل عليه الليل صاح على بحرية المركب وقال لهم : حلوا قلوبكم وسافروا بنا . فقالوا له : سمعا وطاعة ، ولكن اصبر علينا حتى نملأ قرينا ونحل .

ثم طلع البحرية بالقرب وداروا حول القلعة ، فلم يجدوا غير حيطان البستان فتعلقوا بها . . ونزلوا البستان وتتبعوا أثر الأقدام الموصلة إلى الفسقية . فلما وصلوا وجدوا الأسعد مستلقيا على قفاد فعرّفوه وفرحوا به وحملوه بعد أن ملئوا قريتهم . ونطوا من الحائط واتوا به مسرعين إلى بهرام المجوسى وقبوا له : أبشر بحصول المراد : وشفاء

الأنكباد . فقد طبلن طبلك وزمر زمرك ، فإن أسيرك الذى أخذته الملكة
مرجانة منك غصباً قد وجدناه وأتيناه معنا .

ثم رموه قدماه . فلما نظره بهرام طار قلبه من الفرح ، واتسع صدره
وانشرح . ثم خلع عليهم ، وأمرهم أن يحلوا القلوع بسرعة ، فحلوا قلوعهم
وسافروا قاصدين جبل النار ، ولم يزلوا مسافرين إلى الصباح .



هذا ما كان من أمرهم ، وأما ما كان من أمر الملكة مرجانة فإنها
بعد نزول الأسد من عندها ، مكثت تنتظر ساعة فلم يعد إليها . فقامت
وقتشت عليه فما وجدته . فاوقدت الشموع وأمرت الجوارى أن يفتشن
عليه . ثم نزلت هى بنفسها فرائت البستان مفتوحاً فعلمت أنه دخله ،
فدخلت البستان فوجدت نعله بجانب الفسقية ، فصارت تفتش عليه فى
جميع البستان فلم تر له خبراً . ولم تزل تفتش عليه فى جوانب البستان
إلى الصباح ، ثم سألت عن المركب فقالوا لها : قد سافر فى ثلث
الليل .

فعلمت أنهم أخذوه معهم فصعب عليها واغتاظت غيظاً شديداً .
ثم أمرت بتجهيز عشرة مراكب كبار فى الوقت ، وتجهزت للحرب
ونزلت فى مركب من المراكب العشرة ونزل معها عسكرها متهيين
بالعدة الفاخرة وآلات الحرب . وحلوا القلوع وقالت للرؤساء : إن لحقتم

مركب المجوسى فلكم عندى الخلع والأموال ، وإن لم تلحقوه
عن آخركم .

فحصل للبحرية خوف عظيم : ثم سافروا بالراكب ذلك النهار
وتلك الليلة ، وثانى يوم وثالث يوم ، وفى اليوم الرابع لاح لهم مركب
بهرام المجوسى . ولم ينتقض النهار حتى احاطت الراكب بمركب المجوسى .
وكان بهرام فى ذلك الوقت قد أخرج الأسد وضربه : وصار يعاقبه
والأسد يستغيث ويستجير فلم يجد معينا ولا مجيرا من الخلق ، وقد
آله الضرب الشديد . فبينما هو يعاقبه إذ لاحت منه نظرة فوجد الراكب
قد احاطت بمركبه ، ودارت حوله كما يدور بياض العين بسوادها فتيقن
انه هالك لا محالة . فتحسر بهرام وقال : ويلك يا أسد ، هذا كله من
تحت رأسك .

ثم أخذه من يده وأمر البحرية أن يرموه فى البحر وقال : والله
لا تملك قبل موتى .

فاحتمله البحرية من يديه ورجليه ورموه فى وسط البحر ، فأتى
الله سبحانه وتعالى — لما يريد من سلامته وبقيّة أجله — انه غطى
ثم طلع وخط بيديه ورجليه إلى أن سهل الله له واتاه الفرح . وضربه
الموج وقذفه بعيدا عن مركب المجوسى ووصل إلى البر ، فطلع وهو
لا يصدق بالنجاة . ولما صار فى البر خلع أثوابه وعصرها ونشرها ،
وقعد عريانا يبكى على ما جرى له من المصائب والأسر ، ثم اتشد هذين
البيتين :

إلهى قبل صبرى واحتمالى وضاق الصدر وانصرفت حبالى
إلى من يشتكى المسكين إلا إلى مولاه يا مولى الموالى

فلما نزع من شعره تمام ولبس ثيابه ولم يعلم أين يروح ولا أين
يجىء . فصار يأكل من نبات الأرض وفواكه الأشجار ، ويشرب من ماء
الأنهار . وسافر بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة ، ففرح وأسرع
فى مشيه نحو المدينة ، فلما وصل إليها أدركه المساء .

وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

(فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد ان الأسعد لما وصل إلى المدينة أدركه المساء وقد أقفل بابها ، وكانت المدينة هي التي كان أسيرا فيها وأخسوه الأمجد وزير ملكها . فلما رآها الأسعد مقفلة رجع إلى جهة المقابر ، فلما وصل إلى المقابر وجد تربة بلا باب فدخلها ونام فيها .

وكان بهرام الجوسي لما وصلت إليه الملكة مرجانة بالمراكب كسرهما بمكره وسحره ، ورجع سالما نحو مدينته ، وسار من وقته وساعته وهو فرحان . فلما جاز على المقابر طلع من المركب بالقضاء والقدر ومشى بين المقابر ، فرأى التربة التي فيها الأسعد مفتوحة ، فتعجب وقال : « لا بد ان أنظر في هذه التربة » . فلما نظر فيها رأى الأسعد وهو نائم ، فنظر في وجهه فعرفه فقال له : أما زلت تعيش إلى الآن ؟

ثم أخذه وذهب به إلى بيته ، وكان له في بيته طابق تحت الأرض معد لعذاب المسلمين . وكانت له بنت تسمى بستان ، فوضع في رجلى الأسعد قيلا ثقيلًا وأنزله في ذلك الطابق ، ووكل بنته بتعذيبه ليلا ونهارا إلى ان يموت . ثم إنه ضربه الضرب الوجيع وأقفل عليه الطابق وأعطى بنته المفاتيح .

ثم إن بنته بستان نزلت لتضربه ، فوجدته شابا ظريف الشمائل ، حلوا المنظر مقوس الحاجبين كحيل المقلتين ، فوقعته محبته في قلبها فقالت : ما اسمك ؟

قال لها : اسمي الأسعد .

فقالت له : سعدت وسعدت أيامك ، أنت ما تستأهل العذاب وقد علمت أنك مظلوم .



وصارت تؤانس به بالكلام وفكت قيسوده ، ثم إنها سألته عن دين الإسلام فأخبرها أنه هو الدين الحق التويم ، وأن سيدنا محمدا صاحب المعجزات الباهرة ، والآيات الظاهرة ، وأن النار تضر ولا تنفع . وعرفها قواعد الإسلام فأذعنت إليه ، ودخل حب الإيمان في قلبها ، ومزج الله محبة الأسعد بفؤادها ، فنطقت بالشهادتين وصارت من أهل السعادة . وصارت تطعمه وتبتيه وتتحدث معه وتصلى هي وهو ، وتصنع له المساليق بالدجاج حتى اشتد وزال ما به من الأمراض ، ورجع إلى ما كان عليه من الصحة .

ثم إن بنت بهرام خرجت من عند الأسعد ووقفت على الباب ، وإذا بالنادى ينادى ويقول : كل من كان عنده شاب مليح صفته كذا وكذا وأظهره ، فله جميع ما يطلب من الأموال . ومن كان عنده وانكره فإنه يشنق على باب داره وينهب ماله ويهتر دمه .

وكان الأسعد قد أخبر بستان بنت بهرام بجميع ما جرى له . فلما سمعت ذلك عرفت أنه هو المطلوب ، فدخلت عليه وأخبرته بالخبر . فخرج وتوجه إلى دار الوزير ، فلما رأى الوزير قال : والله إن هذا الوزير هو أخى الأمجد .

ثم طلع إلى القصر فرأى أخاه الأمجد فألقى نفسه عليه . ثم إن الأمجد عرفه فألقى نفسه عليه وتعانقا ، وأحاطت بهما الممالك . وغشي على الأسعد والأمجد ساعة ، فلما أفاقا من غشيتها أخذ الأمجد وطلع به إلى السلطان وأخبره بقصته ، فأمره السلطان بنهب بيت بهرام . وأدرك شهر زاد الصباح ، فسكت عن الكلام المباح .

٢٦٨

(فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائتين) قالت : بلغنى أيها الملك السعيد أن السلطان أمر الأمجد بنهب دار بهرام . فأرسل الوزير جماعة لذلك ، فتوجهوا إلى بيت بهرام ونهبوه ، وطلعوا بابنته إلى الوزير فأكرمها . وحدث الأسعد أخاه بكل ما جرى له من العذاب ، وما عملت معه بنت بهرام من الإحسان ، فزاد الأمجد فى إكرامها . ثم حكى الأمجد للأسعد جميع ما جرى له مع الصبية ، وكيف سلم من الشنق وقد صار وزيراً ، وصار يشكو أحدهما للآخر ما وجد من فرقة أخيه .

ثم إن السلطان أحضر المجوسى وأمر بضرب عنقه ، فقال بهرام : أيها الملك الأعظم ، هل صمت على قتلى ؟ قال : نعم .

فقال بهرام : اصبر على أيها الملك قليلا .

ثم إنه أطرق إلى الأرض ، وبعد ذلك رفع رأسه وتشهد وامسلم
على يد السلطان ، ففرحوا بإسلامه . ثم حكى له الأمجد والأسعد جميع
ما جرى لهما . فقال لهما : يا سيدي تجهزا للسفر ، وأنا أسافر بكما .

ففرحا بذلك وبإسلامه ، وبكى بكاء شديدا . . فقال لهما بهرام :
يا سيدي لا تبكيا ، فمسيركما نجتمان كما اجتمع نعمة ونعم .

ألف ليلة وليلة

مراجعة الأستاذين

سعيد جوده السحار ، عبد الستار فراج

- | | |
|--------------------------|-----------------------|
| ١ - التاجر والعفريت | ٨ - العاشق والمعشوق |
| ٢ - الصياد والعفريت | ٩ - الطيور والحيوانات |
| ٣ - الحمال والبنات | ١٠ - ابن آدم |
| ٤ - نور الدين وشمس الدين | ١١ - قمر الزمان |
| ٥ - الخياط والأحدب | ١٢ - الأجدد والأسعد |
| ٦ - أنيس الجليس | ١٣ - نعم ونعمة |
| ٧ - غانم وقوت القلوب | |

دار مصر للطباعة

Bibliotheca Alexandrina



0310112

مكتبة الإسكندرية